مظاهر يسر الإسلام في عزائم الأمور

(نماذج تطبيقية)

إعداد

الأستاذ الدكتور

أ.د/ أنور محمود المرسي خطاب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالسادات

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

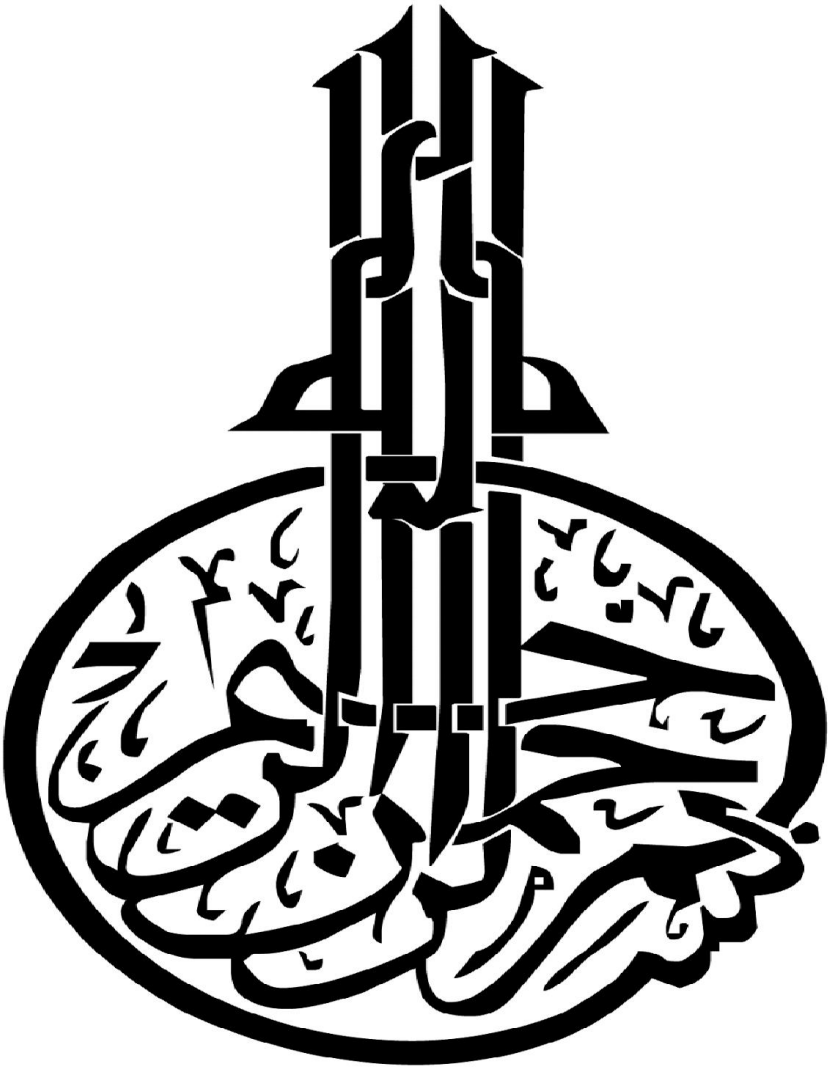

مظاهر يسر الإسلام في عزائم الأمور – نماذج تطبيقية

أنور محمود المرسي خطاب

قسم: التفسير وعلوم القرآن، الكلية: كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات، الجامعة: الأزهر، مدينة السادات، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: anwarkhattab.419@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

كثير من الناس يظن أن يسر الدين الإسلامي مقتصر على ما فيه من الرخص، في حين أن من أبرز خصائص الدين الإسلامي السهولة واليسر في كافة تشريعاته. وجل من يتحدث عن يسر الدين يتحدث عن الرخص فقط ولا يتحدث عن مظاهر اليسر في العزائم. ومظاهر اليسر قد تخفى على كثير من الناس في بعض التشريعات التي ظاهرها المشقة، كالصوم والجهاد في سبيل الله. فلا بد من إظهار صورة التشريعات الإسلامية متكاملة للعالم أجمع.

وينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة، المقدمة تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهجه وخطة البحث، والتمهيد: عموم يسر الدين، المطلب الأول: من مظاهر اليسر في فريضة الصلاة، المطلب الثاني: من مظاهر اليسر في فريضة الصوم، المطلب الثالث: من مظاهر اليسر في فريضة الجهاد في سبيل الله. ويسر الدين عام لكل في كل تشريعاته لا يخص تشريعًا دون آخر. والتمثيل الدائم لليسر بالرُّخَصِ يعطي من طرف خفي شعورًا بأن العزائم لا يسر فيها. وبعض الناس فهم أن اليسر يتعارض مع مرضاة الله –تعالى– ومظاهر اليسر في العزائم تخفى على كثير من الناس.

الكلمات المفتاحية:

يسر الدين– مظاهر اليسر في الإسلام– عزائم الأمور– اليسر في تشريع الصلاة– اليسر في تشريع الصوم– اليسر في تشريع الجهاد.

Aspects of Islam's Easiness in Duties Imposed by Allah

Research

Anwar Mahmoud ELMorsi Khattab

Quranic Exegesis Department, Al Azhar university, Islamic and Arabic Studies for Girls, Sadat City.

Email: anwarkhattab.419@azhar.edu.eg

Abstract:

Many people think that Islam's easiness is limited to licenses, however, one of the most prominent characteristics of Islam is easiness and simplicity in all its legislation.

Most of the discussions concerning Islam's easiness are limited to licenses without highlighting aspects of easiness in duties imposed by Allah.

Aspects of easiness can be difficult to understand in some legislation that appear to be hard.

It is necessary to show the whole world an integrated picture of Islamic legislation.

The research is divided into an introduction, three requirements, and a conclusion, The introduction includes the importance of the topic, the reasons for choosing it, its methodology, and the research plan, Preface: Commonness of Islam's Easiness, First requirement: aspects of easiness in prayer duty, Second requirement: aspects of easiness in fasting duty, Third requirement: aspects of easiness in the duty of Jihad for Allah.

Commonness of Islam's easiness for everyone in all of Islam's legislation and that highlighting only licenses introduces that duties don't include easiness.

Some people thought that easiness contradicts being pleased by Allah.

key words:

Easiness of religion – Aspects of easiness in Islam - Duties - easiness in legislating prayer - easiness in legislating fasting - easiness in legislating jihad.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فللرسالة الإسلامية التي بعث بها المصطفى –صلى الله عليه وسلم– خصائص، ومن أبرز هذه الخصائص السهولة واليسر، والناظر في كل تعليمات هذه الرسالة يدرك هذا الأمر، ولكن بعض الناس يظن أن هذا اليسر إنما هو خاص بالرخص التي شرعت لأصحاب الأعذار، وليس الأمر كما يظنون، فاليسر عام في كل التشريعات، رخص وعزائم، وكان لزاما على المختصين إبراز حقيقة الأمر، فرأيت أن أكتب هذه الورقات بعنوان (من مظاهر يسر الإسلام في عزائم الأمور) وهذا العنوان وإن كان يتناول كل عزائم الدين، إلا أني آثرت أن أتحدث عن ثلاث فرائض [الصلاة– الصوم– الجهاد] وذلك لأن الصلاة أمر بالاستعانة بها في حين أن البعض يظن أنها شاقة، والصوم ظاهرة المشقة ولكن في ثنايا الحديث عنه يخبر ربنا –سبحانه أنه يريد بنا اليسر، وبعد الأمر بالجهاد يخبر – تعالى– برفع الحرج عن الأمة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أ– أن جل من يتحدث عن يسر الدين يتحدث عن الرخص فقط ولا يتحدث عن مظاهر اليسر في العزائم.

ب– أن مظاهر اليسر قد تخفى على كثير من الناس في بعض التشريعات التي ظاهرها المشقة، كالصوم والجهاد في سبيل الله.

ت– أنه لا بد من إظهار صورة التشريعات الإسلامية متكاملة للعالم أجمع.

منهج البحث:

يعتمد البحث في المقام الأول على المنهج الوصفي، وقد أستعين ببعض المناهج الأخرى.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة.

المقدمة تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهجه وخطة البحث.

التمهيد: أتحدث فيه عن عموم يسر الدين

المطلب الأول: من مظاهر اليسر في فريضة الصلاة.

المطلب الثاني: من مظاهر اليسر في فريضة الصوم.

المطلب الثالث: من مظاهر اليسر في فريضة الجهاد في سبيل الله.

الخاتمة: تشمل أهم النتائج والتوصيات.

أسأل الله –تعالى– التوفيق والسداد.

تمهيد: عموم يسر الدين

من المعلوم لدى جماهير المسلمين أن الله –تعالى– أرسل رسله برسالات تُصلح هذه الحياة، وكانت الرسالة الإسلامية خاتمة رسالات السماء إلى الأرض، أَرْسَل بها نبيَّنا محمدًا –صلى الله عليه وسلم–، وكان لهذه الرسالة خصائص كثيرة امتازت بها عن سائر الرسالات، ومن هذه الخصائص وتلكم السمات اليسرُ والسهولةُ، وهذا أمر توافرت عليه الأدلة وتواردت على تأييده النظر في عموم تشريعاته، { **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**} [البقرة:١٨٥] {**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**} [الحج:٧٨].

فالحرج مرفوع عن هذه الأمة، والإصر[(١)] الذي حُمل على من قبلنا ليس محمولًا علينا، ولم تُحَمَّلْ هذه الأمة ولم يفرض عليها ما لا طاقة لها به، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: لما نزلت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– { **لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} [البقرة: ٢٨٤]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأتوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

(١) الْإِصْرُ: الْأَمْرُ الْغَلِيظُ الصَّعْبُ. وَقَالَ عَطَاءٌ: الْإِصْرُ: الْمَسْخُ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ. البحر المحيط في التفسير (٢/٧٦٥)

المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله –تعالى–، فأنزل الله –عز وجل–: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} " قال: نعم " {رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا} " قال: نعم " {رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ} قال: نعم " {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٦] " قال: نعم "(١).

هذا اليسر مظهره كل تشريعات هذه الدين، كما أخبرت بذلك نصوص الشريعة، قرآنًا وسنة، أما القرآن فقد تقدم ذكر بعض هذه الأيات، وأما السنة فقد أخبر المصطفى –صلى الله عليه وسلم–: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(٢).

والنصوص في ذلك أكثر من أن تحصى، ولكن اللافت للنظر أن جُلَّ من يتحدث عن هذا الأمر يتوجه بالحديث إلى الرُّخَصِ لأصحاب الأعذار، وأرى أن الحديث عن يسر الدين من هذه الزاوية فيه تضييق واسع، فضلًا عما يقرره في النفوس بأن عزائم الأمور فيها حرج ومشقة، وهذا غير صحيح فإن إخبار المولى –سبحانه–

(١) أخرجه مسلم ك/ الإيمان ب/ بيان قوله –تعالى–: {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} (١/١١٥) رقم (١٩٩)

(٢) أخرجه البخاري ك/ بدأ الوحي ب/ الدين يسر: ١/١٦ رقم (٣٩)

عن يسر الدين جاء في وسط الحديث عن أحكام الصيام، والإخبار برفع الحرج جاء بعد الأمر بالجهاد حق الجهاد، والإخبار بإرادة التخفيف على الأمة {**يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**} [النساء:٢٨] جاء بين تشريعين؛ السابق منهما عن تنظيم العلاقات الاجتماعية وبيان من يحل الزواج بهن ومن يحرم، واللاحق منهما عن تنظيم النواح الاقتصادية وبيان بعض الطرق المشروعة للحصول على المال وبعض الأوجه المحرمة، مما يعطي دلالة واضحة على عموم يسر الدين لكافة نواحي الحياة.

هذا وبعض الناس يفهم أن الدين عنت ومشقة وعبوس وتقطيب، ومنع للمباحات، ولكن الأمر بخلاف ذلك.

وقد عالج النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الفهم في تربية أصحابه، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

فبين لهم أن الإسلام لا يتعارض أبدًا مع التمتع بمُزَيَّنات الحياة الدنيا، ولا يريد من أتباعه أبدًا المشقة والعنت وإنما يريد بهم اليسر.

فيسر ديننا الإسلامي يشمل جميع مجالات الحياة، اقتصادية واجتماعية وسياسية وأخلاقية، فعمومه من عموم تشريعاته لكل جوانب الحياة.

---

(١) أخرجه البخاري ك/ النِّكَاحِ ب/ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ (٢/٧) رقم (٥٠٦٣)

المطلب الأول: من مظاهر اليسر في فريضة الصلاة

الصلاة أول أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي صلة بين العبد وربه، و"هي أم العبادات ومعراج المؤمنين، ومناجاة رب العالمين"(١) فرضت ليلة الإسراء والمعراج خمسين صلاة في اليوم والليلة، وبعد مراجعة بين نبينا –صلى الله عليه وسلم– ورب العزة –سبحانه– بناء على ما أبداه الكليم موسى –عليه السلام– **(أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التخفيف)**(٢).

هذه الصلوات يظن بعض الناس أنها شاقة على الإنسان، ولكن بالنظر في نصوص الشريعة وواقع الأمر يتضح أن الأمر بخلاف ما يظنون، فاليسر كل اليسر والرحمة في أسمى معانيها في فرض هذه الصلوات، فضلًا عن أنها في ذاتها يسيرة الأداء لا تستعصي على أحد، فمن أراد أداءها فيمكنه أن يؤديها بالكيفية التي تتفق مع حاله.

ولنأخذ بعض آيات القرآن الكريم ونتأمل فيها:

قوله –تعالى– لبني إسرائيل {**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**} [البقرة:٤٥] أي: استعينوا على قضاء حوائجكم الدنيوية والأخروية بالصبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الأمور الشاقة، {وَالصَّلاَةِ} "وكيف لا يستعان بها وهي مرضاة رب العالمين، ومناجاة أكرم الأكرمين، ومفرجة

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١١٤/١)

(٢) أخرجه البخاري ك/ بدء الخلق ب/ ذكر الملائكة (١٠٩/٤) رقم (٣٢٠٧)

كرب المكروبين، عن حُذَيفة –رضي الله عنه– قال: (كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا حَزَبَهُ أمْرٌ صَلّى)[1].

ففي الصلاة فوائد كثيرة، منها:

١– أن فيها قضاء المآرب وجبر المصائب، ولذلك كان– عليه الصلاة والسلام– إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، {وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ} أي: شاقة على النفس لتكريرها في كل يوم، ومجيئها وقت حلاوة النوم، إلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ الذين سكنت حلاوتها في قلوبهم، وتناجوا فيها مع ربهم، حتى صارت فيها قُرَّةُ عينِهم"[2].

٢– أنها تنهى عما لا يلق بالإنسان: يقول –تعالى– {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} [العنكبوت:٤٥]

٣– أنها تجلب الرزق، قال –تعالى–: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ} [طه:١٣٢] "وإيضاح ذلك: أن العبد إذا قام بين يدي ربه يناجيه، ويتلو كتابه هان عليه كل ما في الدنيا رغبة فيما عند الله ورهبة منه، فيتباعد عن كل ما لا يرضي الله فيرزقه الله ويهديه"[3]

٤– أنها سبب لتفريج الكروب، عن حُذَيفة –رضي الله عنه– قال: (كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا حَزَبَهُ أمْرٌ صَلّى)[4] وعن نُعَيْم بْنِ

---

(١) أخرجه أبوداود ك/ الصلاة ب/ وقت قيام النبي –صلَّى الله عليه وسلم– من الليل (٤٨٥/٢) رقم (١٣١٩) ينظر: أوضح التفاسير: ٢٨/١.

(٢) البحر المديد (١٠٢/١)

(٣) أضواء البيان (٣٥/١).

(٤) تقدم تخريجه.

هَمَّار[١] –رضي الله عنه–: أنه سمع رسول الله – –صلى الله عليه وسلم– – يقول: «قال الله –تعالى–: يا ابن آدم، لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»[٢].

يقول الطاهر ابن عاشور: "وَأما الِاسْتِعَانَة بِالصلاة فَلِأَنَّ الصَّلَاةَ شُكْرٌ وَالشُّكْرُ يُذَكِّرُ بِالنِّعْمَةِ فَيَبْعَثُ عَلَى امْتِثَالِ الْمُنْعِمِ عَلَى أَنَّ فِي الصَّلَاةِ صَبْرًا مِنْ جِهَاتٍ فِي مُخَالَفَةِ حَالِ الْمَرْءِ الْمُعْتَادَةِ وَلُزُومِهِ حَالَةً فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ لَا يَسُوغُ لَهُ التَّخَلُّفُ عَنْهَا وَلَا الْخُرُوجُ مِنْهَا عَلَى أَنَّ فِي الصَّلَاة سرا إِلَّهيا لَعَلَّه ناشئ عَنْ تَجَلِّي الرِّضْوَانِ الرَّبَّانِيّ عَلَى الْمُصَلِّي فَلِذَلِكَ نَجِدُ لِلصَّلَاةِ سِرًّا عَظِيمًا فِي تَجْلِيَةِ الْأَحْزَانِ وَكَشْفِ غَمِّ النَّفْسِ"[٣].

٥- أنها تهون على الإنسان المصاعب، فـ"إذا استعان المؤمن بالصبر والصلاة التي تملأ القلب خشية وخشوعا لله، وتبعد النفس عن الفواحش والمنكرات، هانت عليه المصاعب، وتحمّل كل شدة ومشقة، وقاوم كل عناء وكرب"[٤].

إلي غير ذلك من فوائد، وبالجملة فإن الصلاة "رأس

---

(١) نُعَيْم بْنِ هَمَّار، ويقال: ابْن حمار، وابن هبار، وابن هدار، وابن خمار، وابن همام. كل هَذَا قد قيل فِيهِ، وَهُوَ غطفاني معدود فِي أَهْل الشام. روى عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثًا واحدًا. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٥٠٩/٤)

(٢) أخرجه أبو داود ك/ الصلاة ب/ صلاة الضحى (٤٦٢/٢) رقم (١٢٨٩) الترمذي ك/ الصلاة ب/ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ الضُّحَى (٣٤٠/٢) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» النسائي في السنن الكبرى –واللفظ له– ك/ الصلاة ب/ الْحَثُّ عَلَى صَلَاةِ أَوَّلِ النَّهَارِ (٢٦١/١) رقم (٤٦٨)

(٣) التحرير والتنوير (٤٧٩/١)

(٤)التفسير المنير للزحيلي (٣٩/٢)

العبادات جميعها، وملاك الطاعات كلها، فمن أداها كاملة، في جلالها وخشوعها، سلكت به مسالك الخير والهدى، وحادت به عن طرق الضلال والآثام"(١).

هذا الأمر لبني إسرائيل بالاستعانة بالصبر والصلاة أمرت به هذه الأمة أمرًا مباشرًا **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [البقرة:١٥٣] تبدأ الآية الكريمة بهذا النداء المحبب إلى القلوب، تذكيرًا لهم بهذا الأمر –الإيمان– ليكون أدعى للإجابة، ثم إن المُنادى هنا أتي به اسمًا موصولًا –وهو لا يتضح المراد منه ولا يكتسب تعريفه إلا بجملة صلته– مؤذِنًا بِعِلّية جملة صلته {آمَنُواْ} فالإيمان يستلزم فعل ما نودوا لأجله، فيه –كما يقول عبدالله بن مسعود–: "إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ –تعالى– يَقُولُ: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}** [البقرة: ١٠٤] فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ"(٢)

ومن لم يجبْ نداء ربه ويخالفُ أمره فلسان حاله يجعله على خطر عظيم، إذ كأنه يرى أنه غير معنيٌّ بهذا النداء.

ثم يأتي ما جاء النداء لأجله وما هو مناط الحديث **{اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ}** أي: اطلبوا العون في كل شؤونكم وكافة أحوالكم وعامة أزمنتكم بالصبر والصلاة، "لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على

(١) التفسير القرآني للقرآن (٨٠/١)

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك (١٢/١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٣٠/١)

جميع الأمور فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه، وصفا، وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء"(١).

فبينما يقف غير المؤمن مواجهًا شدائد الحياة، ومضايق الأمور منفردًا مجردًا عن أي سلاح يخفف عنه لأواء الحياة، فهو كالغريق الذي يرتطم بالأمواج، وتتقاذفه الرياح لا يجد ما يلوذ به أو يلجأ إليه، فهو يهوي في أمكنة سحيقة، أو تطوح به كالصوف المنفوش الذي تطيره الرياح. أما المؤمن فيقف كالطود الراسخ والجبل الشامخ معتصمًا بجناب ربه، آخذًا بأسبابه من الصبر والصلاة التي تقربه إلى ربه لا يلتفت لسواه، تأمل معي قول الحق –سبحانه– **{إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ...}** [المعارج:١٩: ٢٢]

لذا روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أنه جَاءَهُ نَعْيُ بَعْضِ أَهْلِهِ، وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: فَعَلْنَا كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ **{اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}**(٢).

فأي الفريقين أهدى سبيلًا وأقوم قيلًا وأيسر وسيلة، إن اليسر كل اليسر في فرش هذه العبادة التي تجعل الإنسان في جناب ربه، يأوي إلى ركن شديد، يجد في قربه منه راحة وطمأنينة تهون عليه الشدائد وتذلل له الصعاب، وتزيح عنه المتاعب، لا فرق عنده بين سراء أو ضراء، شدة أو رخاء، فهو في خير دائم يتنقل من نعيم

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ك/ التفسير ب/ من سورة البقرة(٢/٢٩٦) رقم (٣٠٦٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

لنعيم فهو كما عَبّر عنها أحدهم فقال: "والله إنا لفي لذة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف"(١)

ويقول أحد العابدين: "أنا لا أواجه الله بعبوديتي ولكن أواجهه بربوبيته فأرتاح لأنه ربي ورب العالمين.. الذي له أب يعينه لا يحمل هما فما بالك بالذي له رب يعينه وينصره"(٢).

وكيف لا يكون في لذة وهو يعلم أن الله معه {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} "بمعاونته لهم، فينصرهم، بسيطرتهم على نفوسهم، ثم ينصرهم على أعدائهم، ثم يغلبهم على كل شر في الحياة، ثم تقوية عزمهم، وضبطهم لنفوسهم، فالله معهم في كل أعمالهم، وهو وليهم ونعم المولى ونعم النصير"(٣)

ويقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»(٤).

أما الآخر فنجده يلجأ إلى الانتحار ليريح نفسه من عناء الدنيا، ولم يدر المسكين أنه بانتحاره يذهب إلى حيث لا راحة له، بل يفاجأ بما لم يدر بخلده من حساب ولقاء رب الأرباب، محاسبًا إياه عن النقير والقطمير.

وهنا يعرض سؤال: إذا كان الأمر كذلك فما بالنا نرى بعض من يصلي مقترفًا للمعاصي مستثقلاً للصلاة؟! نقل صاحب المنار كلامًا للأستاذ الإمام، يقول: "وَأَمَّا الْحَاجَةُ إِلَى الِاسْتِعَانَةِ بِالصَّلَاةِ فَوَجْهُهَا مَحْجُوبٌ لَا يَكَادُ يَنْكَشِفُ إِلَّا لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. تِلْكَ الصَّلَاةُ الَّتِي أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهَا الْكِتَابُ الْعَزِيزُ،

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٢٠١/٨)

(٢) تفسير الشعراوي (٦٤٩/١)

(٣) زهرة التفاسير (٤٦٨/١)

(٤) أخرجه مسلم ك/ الزهد والرقائق ب/ المؤمن أمره كله خير (٢٢٩٥/٤) رقم (٢٩٩٩)

وَوَصَفَ ذَوِيهَا بِفُضْلَى الصِّفَاتِ وَهِيَ التَّوَجُّهُ إِلَى اللهِ –تعالى– وَمُنَاجَاتُهُ، وَحُضُورُ الْقَلْبِ مَعَهُ سُبْحَانَهُ وَاسْتِغْرَاقُهُ فِي الشُّعُورِ بِهَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ. تِلْكَ الصَّلَاةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا –جَلَّ ذِكْرُهُ–: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة:٤٥] وَقَالَ فِيهَا: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت:٤٥] وَلَيْسَتْ هِيَ الصُّورَةُ الْمَعْهُودَةُ مِنَ الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتِّلَاوَةِ بِاللِّسَانِ خَاصَّةً، الَّتِي يَسْهُلُ عَلَى كُلِّ صَبِيٍّ مُمَيِّزٍ أَنْ يَتَعَوَّدَهَا، وَالَّتِي نُشَاهِدُ مِنَ الْمُعْتَادِينَ لَهَا الْإِصْرَارَ عَلَى الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَاجْتِرَاحِ الْآثَامِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَأَيُّ قِيمَةٍ لِتِلْكَ الْحَرَكَاتِ الْخَفِيفَةِ فِي نَفْسِهَا حَتَّى يَصِفَهَا رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ بِالْكِبَرِ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ، إِنَّمَا جُعِلَتْ تِلْكَ الْحَرَكَاتُ وَالْأَقْوَالُ صُورَةً لِلصَّلَاةِ لِتَكُونَ وَسِيلَةً لِتَذْكِيرِ الْغَافِلِينَ، وَتَنْبِيهِ الذَّاهِلِينَ، وَدَافِعًا يَدْفَعُ الْمُصَلِّي إِلَى ذَلِكَ التَّوَجُّهِ الْمَقْصُودِ الَّذِي يَمْلَأُ الْقَلْبَ بِعَظَمَةِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ حَتَّى يَسْتَسْهِلَ فِي سَبِيلِهِ كُلَّ صَعْبٍ، وَيَسْتَخِفَّ بِكُلِّ كَرْبٍ، وَيَسْهُلَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ احْتِمَالُ كُلِّ بَلَاءٍ، وَمُقَاوَمَةُ كُلِّ عَنَاءٍ، فَإِنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ شَيْئًا يَعْتَرِضُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا وَيَرَى سَيِّدَهُ وَمَوْلَاهُ أَكْبَرَ مِنْهُ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ كَبِيرٌ، إِلَّا مَا كَانَ مُرْضِيًا لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ، وَيَفْزَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْكَوَارِثِ"(١)

ويقول صاحب المنار: "وَقَدْ كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ، لَا بِالصَّلَاةِ هَكَذَا مُطْلَقًا بَلْ بِإِقَامَتِهَا، وَإِنَّمَا إِقَامَتُهَا الْقِيَامُ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَهُوَ أَنْ يَنْبَعِثَ الْمُؤْمِنُ إِلَيْهَا بِبَاعِثِ الشُّعُورِ بِعَظَمَةِ اللهِ وَجَلَالِهِ وَيُؤَدِّيهَا بِالْخُشُوعِ لَهُ –تعالى–، فَهَذِهِ الصَّلَاةُ هِيَ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْقِيَامِ بِالْأَوَامِرِ وَتَرْكِ النَّوَاهِي"(٢)

قال الحرالي: "إن الله ––سبحانه وتعالى– يعطي الدنيا على نية الآخرة وأبى أن يعطي الآخرة على نية الدنيا، خلل حال المرء في دنياه ومعاده إنما هو عن خلل

(١) تفسير المنار (٣٠/٢)

(٢) تفسير المنار (٩٢/٥)

حال دينه، وملاك دينه وأساسه إيمانه وصلاته، فمن حافظ على الصلوات أصلح الله حال دنياه وأخراه، وفي المحافظة عليها تجري مقتضيات عملها عملاً إسلامياً وخشوعاً وإخباتاً إيمانياً ورؤية وشهوداً إحسانياً فبذلك تتم المحافظة عليها، وأول ذلك الطهارة لها باستعمال الطهور على حكم السنة وتتبع معاني الحكمة، كما في مسح الأذنين مع الرأس، لأن من فرق بينهما لم يكد يتم له طهور نفسه بما أبدته الحكمة وأقامته السنة وعمل العلماء فصد عنه عامة الخلق الغفلة؛ ثم التزام التوبة عندها لأن طهور القلب التوبة كما أن طهور البدن والنفس الماء والتراب، فمن صلى على غير تجديد توبة صلى محدثاً بغير طهارة؛ ثم حضور القلب في التوحيد عند الأذان والإقامة، فإن من غفل قلبه عند الأذان والإقامة عن التوحيد نقص من صلاته روحها فلم يكن لها عمود قيام، من حضر قلبه عند الأذان والإقامة حضر قلبه في صلاته، ومن غفل قلبه عندهما غفل قلبه في صلاته؛ ثم هيئتها في تمام ركوعها وسجودها؛ وإنطاق كل ركن عملي بذكر الله يختص به أدنى ما يكون ثلاثاً فليس في الصلاة عمل لا نطق له؛ ولا يقبل الله صلاة من لم يقم صلبه في ركوعه وسجوده وقيامه وجلوسه؛ فبالنقص من تمامها تنقص المحافظة عليها وبتضييع المحافظة عليها يتملك الأعداء النفس ويلحقها الشح فتنتقل عليها الأحكام وتتضاعف عليها مشاق الدنيا، وما من عامل يعمل عملاً في وقت صلاة أو حال أذان إلا كان وبالاً عليه وعلى من ينتفع به من عمله، وكان ما يأخذه من أجر فيه شقى خبث لا يثمر له عمل بر ولا راحة نفس في عاجلته ولا آجلته، وخصوصاً بعد أن أمهل الله الخلق من طلوع شمس يومهم إلى زوالها ست ساعات فلم يكن لدنياهم حق في الست الباقية فكيف إذا طولبوا منها بأويقات الأذان والصلاة وما نقص عمل من صلاة، فبذلك كانت المحافظة على الصلوات ملاكاً لصلاح أحوال الخلق مع أزواجهم في جميع أحوالهم"[1]

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/٣٦٢)

ثم إن الصلاة من أسباب إذهاب الأرجاس، وأسباب الطهارة حسية ومعنوية، لذلك أمر الله –تعالى– بها نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– ضمن مجموعة تكليفات، معللا التكليف بها بإرادة إذهاب الرجس عن أهل بيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وإرادة التطهير لهم، يقول –عز من قائل– {**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**} [الأحزاب:٣٣] يقول ابن عاشور "مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ إِذْ هُوَ تَعْلِيلٌ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ مَنْ أُمِرٍ وَنَهْيٍ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ –تعالى–: {يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ} [الْأَحْزَاب:٣٠] الْآيَةَ. فَإِنَّ مَوْقِعَ (إِنَّما) يُفِيدُ رَبْطَ مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلَهَا، لِأَنَّ حَرْفَ (إِنَّ) جُزْءٌ مِنْ (إِنَّما) وَحَرْفُ (إِنَّ) مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُغْنِيَ غِنَاءَ فَاءِ التَّسَبُّبِ كَمَا بينه الشيخ عبد القاهر(١) فَالْمَعْنَى أَمَرَكُنَّ اللَّهُ بِمَا أَمَرَ وَنَهَاكُنَّ عَمَّا نَهَى لِأَنَّهُ أَرَادَ لَكُنَّ تَخْلِيَةً عَنِ النَّقَائِصِ وَالتَّحْلِيَةَ بِالْكَمَالَاتِ. وَهَذَا التَّعْلِيلُ وَقَعَ مُعْتَرَضًا بَيْنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي الْمُتَعَاطِفَةِ"(٢) لذلك كان رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه

---

(١) يقول الشيخ عبدالقاهر: "إن"، تغني غناء "الفاء"، في ربط الجملة بما قبلها:
واعلمْ أنَّ مِنْ شأنِ "إنَّ" إذا جاءتْ على هذا الوجهِ، أن تُغْني غَناء "الفاءِ" العاطِفةِ مثلاً، وأنْ تُفيدَ من رَبْط الجملةِ بما قبلَها أمراً عجيباً. فأنتَ تَرى الكلامَ بها مستأنفًا غير مستأنف، ومقطوعًا موصولاً معاً. أفلا تَرى أنك لو أَسْقَطْتَ "إنَّ" من قولِهِ: "إنَّ ذاك النجاحَ في التبكيرِ"، لم تَرَ الكَلاَم يلتئِمُ، ولرأيتَ الجملةَ الثانيةَ لا تتَّصل بالأولى ولا تكونُ منها بسبيلي، حتى تجيءَ بالفاءِ فتقولُ: "بكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهجير، فذاك النجاح في التبكير" ومثله قوله بعضِ العرب:
فغَنِّهَا وهْي لكَ الفِداءُ... إنَّ غِناءَ الإبلِ الحُداءُ
فانظرْ إلى قولِه: "إنَّ غِناءَ الإبلِ الحداءُ"، وإلى ملاءمَتِهِ الكلامَ قبلَه، وحسْنِ تشبثِه به، وإلى حُسْن تعطُّفِ الكلامِ الأول عليه. دلائل الإعجاز ت شاكر (٢٧٣/١)
(٢) التحرير والتنوير (١٤/٢٢)

وسلم- يَمُرُّ بِبَابِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى صَلاَةِ الفَجْرِ يَقُولُ: الصَّلاَةَ يَا أَهْلَ البَيْتِ {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}(١).

ثم إن أداء الصلاة على الكيفية التي طلبها الشارع يعالج كثيرًا من المشكلات النفسية والاجتماعية، فهي تعالج الكبر، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، -رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم-: قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: "إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ، وَابن السَّبِيلِ وَالأَرْمَلَةَ وَرَحِمَ الْمُصَابَ ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أكلؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتي أجعل له الظُّلْمَةِ نُورًا وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ"(٢).

وهذا الحديث وإن كان في إسناده نظر إلا أن معناه صحيح متفق مع نصوص الشريعة وروحها، فهذا قوله -تعالى- {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} [العنكبوت:٤٥]

فالصلاة المقبولة عند الله -تعالى- لا بد وأن يكون صاحبها متواضعًا مخلصًا لله -تعالى- أما من تكبر بها على خلق الله، ولعل في قوله -تعالى- {فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

(١) أخرجه الترمذي ك/ التفسير ب/ ومن سورة الأحزاب (٥/٢٠٥) رقم (٣٢٠٦) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ.

(٢) أخرجه البزار في مسنده المسمى "البحر الزخار" (١١/ ١٢٩) رقم (٤٨٥٥) وقال: "وَهَذَا الْحَدِيثُ لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم بِهَذَا اللَّفْظِ إلاَّ مِن هَذَا الْوَجْهِ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وعَبد اللهِ بْنُ وَاقِدٍ لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وعَبد اللهِ بْنُ وَاقِدٍ كَانَ حَرَّانِيًّا عَفِيفًا، وَكان حَافِظًا مُتَفَقِّهًا بِقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكان يَغْلَطُ فَيُلَقَّنُ الصَّوَابَ فَلا يَرْجِعُ، وَكان يُكْنَى أَبَا قَتَادَةَ، وَكان قاضيا"

وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الحج:٣٤، ٣٥] إشارة إلى هذا المعنى، حيث ذكر للمخبتين عدة صفات، ومنها {وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ} والإخبات: الخشوع والتواضع(١). وكيف لا يتعلم التواضع وقد انحنى أمام عظمة ربه، وسجد أعظم عضو منه وهو الوجه على الأرض.

وتعالج الطبقية، فتشعر الناس كلهم بأخوة الإنسانية التي تجمعهم، لا فرق بينهم إلا بالتقوى، فالكل عبيد لله –تعالى– يقف الغني والفقر متراصين متساوين في صلاة الجماعة، لا يتميز غني بغناه، ولا يتقدم ذو جاه لجاه، وإنما يتقدم أهل القرآن وإن كانوا أفقر الناس، ولتجسيد هذا المعنى فرضت الجمعة لقاءً أسبوعيًّا يجتمع فيه المسلمون بشكل كبير، فإذا كانت الجماعة مسنونة في الصلوات العادية فإن صلاة الجمعة لا تصح إلا إذا كانت في جماعة حتى تؤدي الغالية التي شرعت لها، وهي الترابط والمؤاخاة بين الناس.

نخلص من ذلك إلى بعض مظاهر اليسر في فريضة الصلاة:

١– يسرها في أدائها، فهي في ذاتها يسيرة الأداء لا تستعصي على أحد، فمن أراد أداءها فيمكنه أن يؤديها بالكيفية التي تتفق مع حاله.

٢– أن فيها قضاء المآرب وجبر المصائب.

٣– أنها تنهى عما لا يلق بالإنسان من الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ.

٤– أنها تجلب الرزق.

٥– أنها سبب لتفريج الكروب.

٦– أنها تهون على الإنسان المصاعب.

٧– أن من أداها كاملة في جلالها وخشوعها، سلكت به مسالك الخير والهدى، وحادت به عن طرق الضلال والآثام..

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٣/ ١٧٠٨)

٨- أنها نور للمؤمنين

٩- أنها من أسباب إذهاب الأرجاس، وأسباب الطهارة حسية ومعنوية

١٠- أنها تعالج كثيرًا من المشكلات النفسية والاجتماعية.

وغير ذلك الكثير والكثير، نسأل الله –تعالى– أن نكون من أهل الصلاة، المقيمين لها والقائمين لها.

المطلب الثاني: من مظاهر اليسر في فريضة الصوم

يعد الصوم من أبرز التكاليف التي ظاهرها المشقة وذلك لما فيه من امتناع عن الطعام والشراب والشهوات وقتًا ليس بالقليل، ومع ذلك نرى أن الله –تعالى– يقول في ثنايا الحديث عن هذه الفريضة {يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:١٨٥]

والإرادة هنا إرادة شرعية، ولذا يقول الشَّعْبِيُّ: إِذَا اخْتُلِفَ عَلَيْكَ فِي أَمْرَيْنِ، فَخُذْ أَيْسَرَهُمَا، فَإِنَّ أَيْسَرَهُمَا أقربهما مِنَ الْحَقِّ، لأَنَّ اللَّهَ –سبحانه وتعالى–، يَقُولُ: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**(١).

وقد أشار الشوكاني إلى الْخِلَافِ فِي مَسْأَلَةِ "الْأَخْذِ بِأَخَفِّ مَا قِيلَ" ثم قال: "وَلَا مَعْنَى لِلْخِلَافِ فِي مِثْلِ هَذَا؛ لِأَنَّ الدِّينَ كُلَّهُ يُسْرٌ، وَالشَّرِيعَةَ جَمِيعَهَا سَمْحَةٌ سَهْلَةٌ. وَالَّذِي يَجِبُ الْأَخْذُ بِهِ وَيَتَعَيَّنُ الْعَمَلُ عَلَيْهِ هُوَ مَا صَحَّ دَلِيلُهُ، فَإِنْ تَعَارَضَتِ الْأَدِلَّةُ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَكُونَ الْأَخَفُّ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ، أَوِ الْأَشَقُّ مُرَجَّحًا، بَلْ يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَى المرجحات المعتبرة"(٢)

ومما هو غني عن البيان أن ورود هذه الجملة بعد بيان الرخصة في الفطر لبيان أن هناك حِكَمًا سامية لمشروعية الصوم هي بمنأى عن المشقة والعسر، حكمًا فهمها من فهمها وغفل عنها الكثير، ولكن المقطوع به أنه ليس المقصود التشديد على الناس، وهذا اليسر إنما هو إرادة الله –تعالى– **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** هذه الإرادة دائمة مستمرة وعامة في كل التكليفات بما فيها الصوم وليست قاصرة على بعض الأزمان أو بعض التكليفات، لذلك جاء التعبير

(١) شرح السنة للبغوي (٣٩١/١٤)

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١٩١/٢)

بصيغة المضارع "يريد" لأنه –على ما قال أبوحيان– "يُرَادَ بِهِ الْحَالَةُ الدَّائِمَةُ هُنَا، لِأَنَّ الْمُضَارِعَ هُوَ الْمَوْضُوعُ لِمَا هُوَ كَائِنٌ لَمْ يَنْقَطِعْ، وَالْإِرَادَةُ صِفَةُ ذَاتٍ لَا صِفَة فِعْلٍ، فَهِيَ ثَابِتَةٌ لَهُ –تعالى– دَائِمًا، وَظَاهِرُ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ الْعُمُومُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ"(١)

ثم إنه مما يؤكد أن التشريعات كلها يسر أن الله –تعالى– عطف قوله {**وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**} على قوله {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**} فلو كان إتمام صوم رمضان عسرًا ومشقةً لكان الكلام متناقضا، إذ كيف يريد يسرًا ومشقة في آنٍ واحد؟!

يقول ابن عاشور: "وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**} تَعْلِيلًا لِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ**} [البقرة: ١٨٣] إِلَى هُنَا، فَيَكُونُ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ مَشْرُوعِيَّةَ الصِّيَامِ وَإِنْ كَانَتْ تَلُوحُ فِي صُورَةِ الْمَشَقَّةِ وَالْعُسْرِ فَإِنَّ فِي طَيِّهَا مِنَ الْمَصَالِحِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِهَا الْيُسْرَ؛ أَيْ: تَيْسِيرَ تَحْصِيلِ رِيَاضَةِ النَّفْسِ بِطَرِيقَةٍ سَلِيمَةٍ مِنْ إِرْهَاقِ أَصْحَابِ بَعْضِ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى أَنْفُسَهُمْ"(٢).

ثم إن التذييل بقوله {**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} يُؤذن بأن التشريعات السابقة بما فيها الصوم نعمة تستوجب الشكر.

ويؤكد هذا المعنى الآيات التالية التي تخبر بقرب الله من عباده يجيبهم إذا دعوه. وحتى لا يشعر المكلفون بحرج يذكرهم ربهم بما أحل لهم في ليلهم من طعام وشراب..

---

(١) البحر المحيط في التفسير (١٩٩/٢)

(٢) التحرير والتنوير (١٧٥/٢)

قال ابن عطية: "قال مجاهد والضحاك بن مزاحم: اليسر الفطر في السفر والْعُسْرَ الصوم في السفر. والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين"(١).

وقال الراغب: "وذهب غيرهم إلى أن إرادة الله –عز وجل– اليسر لمن أوجب عليه الصوم عليهم كما هي للمفطر والصائم جميعاً، ففي الصوم أعظم اليسرين، وعلى هذا قال الأعرابي: "أقصد البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك "، فقيل له: أفي هذا الحر؟ فقال: "من الحرَّ أفرُّ"

وقيل لآخر: أتكدُّ نفسك في العبادة، فقال: " راحتها أريد، فإذن في إيجاب " الله – تعالى– الصوم أعظم اليسرين"(٢) ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهَّله تسهيلا آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات(٣).

يبقى أن نذكر بعض أوجه اليسر في فرضية الصوم التي ذكرها العلماء في صورة "حكمة مشروعية الصوم":

١– أَن يجد الْغنى ألم الْجُوع فَيَعُود بِالْفَضْلِ على الْفَقِير.

٢– الصَّوْم غذَاء للقلب كَمَا يغذي الطَّعَام الْجِسْم فَفِيهِ صِحَة للبدن وَالْعقل(٤).

٣– الصوم به سكون النفس الأمارة بإعراضها عن الفضول لأنها إذا جاعت شبعت جميع الأعضاء فتنقبض اليد والرجل والعين وباقي الجوارح عن حركتها وإذا شبعت النفس جاعت الجوارح بمعنى قويت على البطش

(١) المحرر الوجيز (٢٥٥/١)

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (٣٩٤/١)

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦)

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (٩٥/٢)

والنظر وفعل ما لا ينبغي فبانقباضها يصفو القلب وتحصل المراقبة[١].

٤- يوجب الرحمة والعطف على المساكين، فإن الإنسان إذا ذاق ألم الجوع في وقت، تذكر حال المساكين في سائر الأوقات، فيسارع إلى الإحسان إليهم لدفع ألم الجوع عنهم، فينال بذلك حسن الجزاء من الله – تعالى[٢].

٥- أثبتت الدراسات الحديثة أن للصوم فوائد صحية كثيرة منها:

١) يعزز السيطرة على نسبة السكر في الدم عن طريق الحد من مقاومة الأنسولين.

٢) يساعد على محاربة الالتهابات.

٣) يفيد في علاج العديد من المشكلات الخطيرة. يمكن أن تشمل- (التهاب المفصل الروماتويدي. أمراض القلب الأمراض المزمنة خطر الاصابة بالسرطان انخفاض مستوى الالتهابات الفيروسية أو البكتيرية)

٤) تعزيز صحة القلب.

٥) يعزز وظائف الدماغ.

٦) يساعد في إنقاص الوزن[٣]

أقول: هذا ما وقفت عليه من أقوال العلماء، ولكن قبل أقوالهم قال الله – تعالى- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** فذكر أن الحكمة من مشروعية الصوم هي الوصول

(١)حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص: ٦٣٦)

(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢١٩/٢٠)

(٣) -https://www.youm7.com/story/2022/4/4/%D9%81%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%AF

إلى تلك المنزلة الرفيعة والدرجة العالية وهي التقوى، وهي ملكة في النفس تدفع صاحبها إلى فعل الطاعات واجتناب المعاصي، وإذا كانت الطاعات عامة لكل ما يرضي الله –عز وجل– والمعاصي كل ما لا يرضي الله –تعالى– بما في ذلك ما أمر الله به من عملٍ لإصلاح حال الناس في الحياة الدنيا، ومن المعاصي كل ما نهى الله عنه مما يفسد على الناس حياتهم في دنياهم، فلا صلاح للدنيا إلا بتقوى الله –عز وجل–، التقوى بكل ما تحمله من معان، وليست التقوى المتصنعة، فهي بمثابة رقابة ذاتية من كل إنسان على نفسه، يجعله يفعل الصلاح في سره وعلانيته، يتقن عمله دون ما رقيب عليه، إذ إنه يستحضر الرقابة الإلهية معه في كل وقت وحين، وهذا ما دفع تلك الفتاة ابنة بائعة الألبان أن تقول لأمها "إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا" فقد امتدت حبال المراقبة، وكمال الخشية فلم يضعفها الغياب عن الناظر، وفي ساعة الخلوة جرى اللسان بصدق الخاطر، مستشعراً عظمة القوي القادر، فتاة في بيت أهلها كان همها الأول رضا الله في السر قبل العلن، وقد كان في عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– بعض الناس يقومون بخلط اللبن بالماء ليكثر لبنهم، ويزداد بيعهم! فشكى الناس ذلك لعمر –رضي الله عنه– فأرسل عمر أمير المؤمنين مناديًا ينادي في الأسواق ويقول: يا بائعي اللبن: لا تشوبوا اللبن بالماء، فتغشوا المسلمين، ومن يفعل ذلك فسوف يعاقبه أمير المؤمنون عقابًا شديدًا، فخرج ذات ليلة مع خادم له يُدْعَى "أسلم" ليتفقد أحوال الرعية بالليل، ثم جلس ليستريح بجوار أحد الجدران فسمع امرأة تقول لابنتها: يا بنيتي هيا قومي فاخلطي اللبن في الماء!

فقالت الفتاة لأمها: يا أماه أما سمعت ما قاله منادي أمير المؤمنين اليوم؟

فقالت الأم لابنتها" وما قاله منادي عمر؟ فقالت الابنة: إنه أمر ألا يخلط اللبن بالماء، فقالت الأم لابنتها: يا بنيتي قومي فاخلطي اللبن بالماء فإنك في موضع لا يراه عمر ولا منادي عمر!

فردت الفتاة على والدتها: والله يا أماه ما كنت أطيعه في العلن وأعصيه في الخفاء.

فلنتخيل كيف تكون الحياة لو أن الناس كلهم تربت في نفوسهم هذه الملكة، ولو أن لسان حالهم هذه العبارة "وإن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر الله –سبحانه وتعالى– يرانا!"

لو أصبح هذا حال غالبية الناس لما احتجنا إلى مراقبين في المصانع ولا دور التعليم ولا في أي مصلحة، إذ إن الناس كلهم –والحال هذه– يراقبون ربهم قبل أن يراقبوا بشرًا، فانتظمت حياة الناس في معاشهم في كافة المجالات.

كل إنسان وكل فرد لو اتقى الله فيما دونه؛ الموظف يتقي الله في وظيفته، والجندي يتقي الله في أمن بلده، والطالب يتقي الله فيما تعلمه، والمسئول يتقي الله في مسئوليته، لم نجد فساداً، ولم نجد خراباً أو دماراً، وإن كان النقص قد دبَّ إلينا شيئاً فشيئاً، وما ذاك إلا لبُعدنا عن التقوى، ولاستهتار بعض المسلمين بمراقبة الله جلَّ وعَلا، وعدم مراقبة ربهم، واستحضار التقوى في كل أعمالهم، وفي كل ما يأتون ويذرون.

إذًا عندما يشرع الصوم فإن حكمته العظمى تربية هذه الملكة في نفوس الناس ليسعدوا في دنياهم قبل أخراهم، فما كان لهم أن يمتنعوا عن تناول المباحات ثم يرتكبوا المحرمات.

فيمكن أن نجمل بعض أوجه اليسر في فرضية الصوم:

١) أَنه يوجد ترابطًا بين الأمة بحيث يشعر يجد الْغنى بما يعانيه الْفَقِير.

٢) أنه غذَاء للقلب كَمَا يغذي الطَّعَام الْجِسْم.

٣) أن به سكون النفس الأمارة بإعراضها عن الفضول.

٤) له فوائد صحية كثيرة.

اللهم زودنا بالتقوى وأصلح أحوالنا في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: من مظاهر اليسر في فريضة الجهاد في سبيل الله

يعد الجهاد في سبيل الله –تعالى– من أشق التكاليف على المسلم لما فيه من تعريض الأموال والأنفس للتلف، لذا فقد وعد الله –تعالى– عباده المجاهدين بالثواب الجزيل، فقال –سبحانه– {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:٧٦] وقال {الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} [التوبة:٢٠، ٢١] وقال {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١١١] وأخبر أنه يحب المجاهدين في سبيله {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف:٤]

وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ»

وعنه –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي، وإيمانا بي، وتصديقا برسلي، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما من كَلْم يُكْلَم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه مسك، والذي نفس محمد

بيده، لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده، لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»(١).

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي تبين فضل الجهاد والمجاهدين، فالمشقة فيه ظاهرة، فهل يتعارض ذلك مع النصوص الدالة على يسر الدين ورفع الحرج؟ كلا، فإن المولى –عز وجل– يأمر الأمة بالجهاد في سبيله حق الجهاد، ثم يعقبه الإخبار بأنه لم يجعل علينا في الدين حرجًا **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ}** [الحج:٧٨].

وإنما صرح في هذه الآية بنفي الحرج من الدين كله؛ لأن سورة الحج من السور المكية التي بينت أصول الإسلام، وقواعده الكلية، وهي تدل على أن القيام بما لا بد منه من عزائم الأمور ليس من الحرج في شيء ؛ لأنه نفى الحرج بعد الأمر بالجهاد في سبيل الله حق الجهاد، وهو بذل الجهد في الطريق الموصل إلى إقامة سنن الله –تعالى– وحكمته في خلقه وكل ما يرضيه من عباده من الحق والخير والفضيلة. ولا يصعد الإنسان إلى مستوى كماله إلا ببذل الجهد في معالي الأمور، وإنما الحرج هو الضيق والمشقة فيما ضرره أرجح أو أكبر من نفعه ؛ كالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، والامتناع من سد الرمق بلحم الميتة أو الخنزير أو الخمر لمن لا يجد غيرها، وكاستعمال المريض الماء في الوضوء أو الغسل مع

(١) أخرجه البخاري ك/ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ ب/ قَوْلِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أُحِلَّتْ لَكُمُ الغَنَائِمُ» (٤/٨٥) رقم (٣١٢٣) مسلم –واللفظ له– ك/ الإمارة ب/ فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (٣/١٤٩٥) رقم (١٨٧٦)

خشية ضرره، وكذلك استعماله في البرد بهذا القيد، أو فيما يمكن إدراك غرض الشارع منه بدون مشقة في وقت آخر ؛ كالصيام في المرض والسفر"[١].

دعك ممن يقصر تفسير الجهاد هنا على جهاد النفس فإن سوق الآية هنا في هذه السورة التي تخبر عن فريقي أهل بدر من المسلمين والمشركين، ثم تخبر بأن الله يدافع عن المؤمنين بسبب ما وقع عليهم من ظلم، وتخبر بالإذن لهم في القتال في سبيل الله دفاعًا عن أنفسهم وعن المستضعفين، وضمانًا لوصول كلمة الله إلى الناس، وتمكينًا لدين الله في الأرض.

أقول: إن ورود الآية في سورة تتحدث عن هذا الأمور يأبى أن يكون المقصود هنا جهاد النفس، بل المراد القتال في سبيل الله –تعالى– أو أنه داخل دخولًا أوليًّا في الآية إذ الْجِهَادُ بِصِيغَةِ الْمُفَاعَلَةِ حَقِيقَةٌ عُرْفِيَّةٌ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ لِأَجْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ أَوْ لِلدَّفْعِ عَنْهُ[٢] كَمَا فَسَّرَهُ النَّبِي –صلى الله عليه وسلم– : «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[٣].

وللقشيري كلام نفيس في تفسير حق الجهاد، يقول: "حق الجهاد ما يوافق الأمر في القَدْرِ والوقتِ والنوعِ، فإذا حَصَل في شيءٍ منه مخالفة فليس حَقَّ جهاده"[٤]

وقد ورد عن السلف روايات في بيان معنى حق الجهاد، فعن ابن عباس: بنية صادقة.

وقال مقاتل بن حيان: يعني العمل أن تجتهدوا فيه.

وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى.

---

(١) تفسير المنار (٢٢٣/٦)

(٢) التحرير والتنوير (٣٤٧/١٧)

(٣) أخرجه البخاري ك/ العلم ب/ مَنْ سَأَلَ، وَهُوَ قَائِمٌ، عَالِمًا جَالِسًا (٣٦/١) رقم (١٢٣) مسلم ب/ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (١٥١٢/٣) رقم (٤٢)

(٤)لطائف الإشارات (٥٦٤/٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥٥٨/٣)

وعن ابن عباس –في رواية أخرى–: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله باستفراغ الطاقة فيه.

وعنه أيضًا: أي لا تخافوا في الله لومة لائم.

وقال عبد الله بن المبارك: حق الجهاد مجاهدة النفس والهوى(١).

وَالْأَوْلَى أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ التَّكَالِيفِ، فَكُلُّ مَا أُمِرَ بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ جِهَادٌ(٢).

وقد أَعْقِبَ الأمرَ بالجهاد التعليل للأمر بالجهاد، هذا التعليل متضمن أمرين، الأول: {هُوَ اجْتَبَاكُمْ} الثاني {وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} فقد "جَعَلَهُ دِينًا لَا حَرَجَ فِيهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يُسَهِّلُ الْعَمَلَ بِهِ مَعَ حُصُولِ مَقْصِدِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْعَمَلِ فَيَسْعَدُ أَهْلُهُ بِسُهُولَةِ امْتِثَالِهِ"(٣).

واختلفوا في وجه رفع الحرج فمن قائل: أن الله جعل الكفارات مخرجًا. وقائل: أن من أذنب ذنبًا جعل له منه مخرجًا، إما بالتوبة، أو بالقصاص، أو برد المظلمة، أو بنوع كفارة فلم يُبتل المؤمن بشيء من الذنوب إلا جُعل له منه مخرج. إلى غير ذلك من أقوال(٤) أرى أنها كلها مرادة من الآية لا وجه لتخصيص الآية بواحدٍ منها، ولعل قائليها يقصدون التمثيل لا الحصر.

إذن فمشروعية الجهاد إنما هي لرفع الحرج، كيف ذلك والجهاد فيه تعريض للنفس للموت أو الأسر والأموال للتلف؟! نتأمل في هذه القصة الرائعة التي توضح ذلك؛

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٥٠٦/٨) التفسير البسيط (٥٠٤/١٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧٨/٦)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٥٥/٢٣)

(٣) التحرير والتنوير (٣٤٩/١٧)

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٥٠٦/٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧٩/٦)

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ، قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ –تعالى– عَلَى نَبِيِّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاَحِهَا، وَتَرْكَنَا الغَزْوَ فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ"(١).

فهذا الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري يوضح لنا أن ترك الجهاد إنما هو إلقاء بالنفس في التهلكة، وبمفهوم المخالفة فإن في الجهاد نجاةً وعزة ومنعة، وهذا المعنى واضح في قول المصطفى –صلى الله عليه وسلم–: ("إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعِين واتَّبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أَنزل الله بهم بلاءً فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينَهم)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود ك/ الجهاد ب/ في قوله –تعالى– {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (١٦٦/٤) رقم (٢٥١٢) الترمذي (٦٢/٥) رقم (٢٩٧٢) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، والحاكم ك/ الجهاد (٩٤/٢) رقم (٢٤٣٤) اوقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند عبدالله بن عمر (٤١٤/٤) رقم (٤٨٢٥) قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فترك الجهاد يؤدي إلى الذل والمهانة على الأمم الأخرى، وواقع الأمة الإسلامية اليوم يؤكد ذلك فقد هنا على الأمم وتداعت علينا الأمم وكأن حديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم– (يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها" فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: "بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ". فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ)[1]

ثم إن الجهاد ليس تضييقًا وإنما –كما يقول ابن عطية: "وليس في الشرع أعظم حرجا من إلزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله، ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج"[2]

وعلى هذا فليس الحرج في فرضية الجهاد وإنما الحرج كل الحرج في ترك الجهاد، وما أصاب الأمة ما أصابها إلا بترك الجهاد.

(١) أخرجه أبو داود ك/ الملاحم ب/ في تداعي الأمم على الإسلام (٣٥٥/٦) رقم (٤٢٩٧) وأخرجه أحمد (٨٢/٣٧) رقم (٢٢٣٩٧) والحديث إسناده حسن.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٣٥/٤)

الخاتمة

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فكانت هذه عجالة أردت أن أوضح بعض مظاهر يسر الدين الإسلامي في أمور ثلاثة، كنموذج يبحث على منواله مظاهر هذا اليسر في كل أمور الدين، لذا، وبعد هذه الدراسة فقد رأيت أن أثبت أمورًا، من الواجب على من يخوض في هذا الأمر معرفتها، وأن يضعها نُصْبَ عينيه، حتى لا يزل، هذه الأمور هي:

(١) أن يسر الدين عام لكل في كل تشريعاته لا يخص تشريعًا دون آخر.

(٢) أن التمثيل الدائم لليسر بالرُّخَصِ يعطي من طرف خفي شعورًا بأن العزائم لا يسر فيها.

(٣) أن بعض الناس فهم أن اليسر يتعارض مع مرضاة الله –تعالى–

(٤) أن مظاهر اليسر في العزائم تخفى على كثير من الناس.

لذا فإني أوصي الدعاة عامة أن يفهموا أمور الدين حق الفهم حتى يظهروا الصورة الحقيقية لهذا الدين، ولكي لا ينفروا الناس منه.

وبعد: فإني أحمد الله –عز وجل– على أن أعانني على إتمام هذا البحث، وما كان من صواب فمن الله وحده، وله الحمد والمنة، وما غير ذلك فمني ومن الشيطان، والله أسأل أن يغفرها لي إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١- **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) تحقيق: أحمد عزو عناية، ط: دار الكتاب العربي، ط١١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ =١٩٩٥م.

٣- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى:٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١ ١٤١٨هـ.

٤- **أوضح التفاسير**، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى:١٤٠٢هـ) ط: المطبعة المصرية ومكتبتها.

٥- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى:٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر – بيروت.

٦- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (المتوفى:١٢٢٤هـ) تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة: ١٤١٩ هـ.

٧- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، "التحرير والتنوير"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) ط: الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤هـ.

٨- **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (المتوفى:٤٦٨هـ) ط: عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٩- **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى:٥٠٢هـ) تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١٤٢٠،١هـ- ١٩٩٩م.

١٠- **تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي (المتوفى:١٤١٨هـ) ط: مطابع أخبار اليوم.

١١- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (المتوفى:١٣٥٤هـ) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٢- **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى:٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة ١٤١٩هـ.

١٣- **التفسير القرآني للقرآن**، محمد عبد اللطيف الخطيب، ط: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ- فبراير ١٩٦٤م.

١٤- **التفسير المنير**، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت:١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٦- **التيسير بشرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري (المتوفى:١٠٣١هـ)

ط: مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، ط٣، ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٧- **الجامع المسند الصحيح** المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨- **حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح**، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي (ت:١٢٣١هـ) تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ) ط: السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٠- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:٩١١هـ) ط: دار الفكر - بيروت.

٢١- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت:٤٧١هـ) تحقيق: محمود شاكر، ط: المدني القاهرة، والمدني جدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٢- **ذخيرة العقبى في شرح المجتبى** (شرح سنن النسائي المسمى) محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، ط: دار المعراج الدولية للنشر، ودار آل بروم للنشر والتوزيع، ط١.

٢٣- **الزهد والرقائق لابن المبارك**، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، (المتوفى:١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٤- **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى:١٣٩٤هـ) ط: دار الفكر العربي.

٢٥- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى:٢٧٥هـ) تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ط: دار الرسالة العالمية، ط١١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٦- **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت:٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢،١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٧- **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (المتوفى:٣٠٣هـ) تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، ط: الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٨- **شرح السنة، محيي السنة**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت:٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٩- **فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، محمد نصر الدين محمد عويضة.

٣٠- **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى:٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط٣.

٣١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (المتوفى:٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ.

٣٢- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن

محمد النيسابوري (ت:٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٣- **مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل** بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:٢٤١هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: دار الحديث- القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٤- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل** إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٥- **مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، فخر الدين الرازي (المتوفى:٦٠٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٦- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى:٨٨٥هـ) ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٧- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث :.....	٣
المقدمة :.....	٥
التمهيد عموم يسر الدين:	٧
المطلب الأول: من مظاهر اليسر في فريضة الصلاة	١٠
المطلب الثاني: من مظاهر اليسر في فريضة الصوم	٢٢
المطلب الثالث: من مظاهر اليسر في فريضة الجهاد في سبيل الله	٢٨
الخاتمة :.....	٣٤
فهرس المصادر والمراجع :.....	٣٥
فهرس الموضوعات :.....	٤٠